آثار ادبية

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع — هو اسم كتابٍ وضعهُ الاستاذ الفاضل المستر ادورد فنديك نجل المرحوم الدكتور كرنيليوس فنديك المشهور جمع فيهِ اسماء الكتب العربية التي طُبعت في البلاد الشرقية والغربية منذ ابتداء عهد الطباعة الى يومنا هذا فكان فهرساً عامًّا اشتمل على اسماء نحو ١٨٠٠ مؤلَّف في فنونٍ مختلفة رتّبها على ازمنة تأليفها وانواع العلوم التي وُضعت فيها وضمّ الى ذلك ملخص تاريخ الآداب والعلوم العربية وبيان مشتملاتها وما تقلّب عليها من الاطوار مع تراجم كثيرٍ من العلماء والشعراء فجاء كتابًا جامعًا غزير الفوائد والمطالب حريًا بأن تزيَّن بهِ صدور المكاتب

غير انهُ مع ما حوى هذا السفر من الفوائد الجليلة وما بُذِل من العناية والتنقيب في جمعهِ وترتيبهِ لم يُوفَّ حقَّهُ في بعض المواضع من صدق النظر والتثبت في ردّ الحقائق الى نصابها بحيث جاء فيهِ من الروايات المدخولة والوهم في نسبة بعض المؤلفات الى اربابها ما كدّر منهلهُ على الورّاد وخلط عليهم وجوه السداد . ولذلك فنحن نستأذن حضرة مؤلفهِ الفاضل ان نشفع تقريظنا لهُ ببيان ما عنّ لنا فيهِ من مطارح الانتقاد لا نقصد بذلك غضًّا منهُ ولا تفنيدًا ولكن حرصًا على الحقائق العلمية ورجاء ان يعيد فيهِ نظرهُ فيُلحقهُ بتصحيح يتدارك بهِ ما فرط فيهِ من السهو ان احبَّ والاَّ فلا اقلّ من ان يُتنبَّه لذلك فيما سيُطبَع منهُ في المستقبل والله الموفق الى قصد السبيل

فمن تلك الاوهام ما جاء في صفحة ١٨ عند ذكر الكتاب المسمى بمجاني الادب حيث قال « ضبطهُ الشيخ ابرهيم ابن الشيخ ناصيف اليازجي » وليس

ذلك من الواقع في شيء ولا اشارة اليهِ في الكتاب اصلاً فكان من حقهِ ان يثبت فيهِ قبل اثباتهِ ولا يسترسل الى مجرَّد ظنّ خطر لهُ او خبر سمعهُ ولا سيما وان الكتاب شائعٌ بين ايدي الناس يمكنهُ الوقوف عليهِ أيّان شاء وتحقُّق ذلك منهُ بالعيان

ومن ذلك ما حكاهُ في صفحة ٢٧١ حيث ذكر رسائل ابي العلاء المعرّي ثم عقّب عليها بما نصُّهُ « وجد شاهين عطية اللبناني نسخةً منها في مكتبة باريس فاستنسخها » وهي من عجيب الروايات فان الرجل لم يرحل الى باريس قطّ ولم يخرج من حدود سوريا بل لم يفارق بيروت ولبنان منذ وُجد . وانما النسخة التي طبعت عنها هذه الرسائل منقولةٌ على ما نعلمهُ عين اليقين عن نسخةٍ وُجدت في احدى مكاتب دمشق استنسخها خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت وطبعت بعنايتهِ لا « باعتناء شاهين عطية » كما رواهُ بعد ذلك في صفحة ٣٤١ ولكن المشار اليهِ كان الشارح لها كما يُرى ذلك صريحاً في عنوان الكتاب ثم في مقدّمة الطابع

ومن هذا القبيل ما جاء في صفحة ٢٨٩ حيث ذكر ترجمة عنترة بن شداد ثم قال « اما سيرتهُ فقد جمعها الاصمعي . . » وما ابعدها روايةً يترفع عنها الاصمعيّ ترفعاً عظيماً لما شُحنت بهِ هذه السيرة الغريبة من الاقاصيص المختلقة والاسماء الموضوعة والخرافات المنكرة حتى جُعلت في باب البطش والاقدام اشبه بسيرة جُحَى في باب الرقاعة والمضحكات فضلاً عما في سياقتها من الركاكة واللحن وما يتخللها من فاسد الشعر ومنحولهِ الى غير ذلك مما يعلمهُ اهل هذا الشأن . والصحيح أن الذي جمع الكتاب رجلٌ يقال لهُ الشيخ يوسف بن اسمعيل ذكروا انهُ كان يتصل بباب العزيز في القاهرة فاتفق أن حدثت ريبةٌ في دار

العزيز ولهجت الناس بها في المنازل والأسواق فسأء العزيز ذلك واشار الى الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساهُ ان يشغلهم عن هذا الحديث وكان الشيخ يوسف واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث فأخذ يكتب قصةً لعنترة ويوزعها على الناس فأعجبوا بها واشتغلوا عما سواها

وقد ذكر في هذا الموضع ان امّ عنترة «جاريةٌ سوداء اسمها زبيدة» وقد تحرف عليهِ هذا الاسم وصوابهُ «زبيبة». ثم ذكر ان المسمى بشيبوب كان خادم عنترة والذي في القصّة انهُ اخوهُ على انّ هذا من جملة ما اشرنا اليهِ من الاسماء الموضوعة كمقري الوحش وغيرهِ من الاشخاص الذين لم يكن لهم وجودٌ بين العرب ولم يُخلقوا الا بين محابر القصّاصين واقلامهم

ومن ذلك ما رواهُ في صفحة ٣١٧ حيث ذكر الالفاظ الكتابية وهي المصنَّف المشهور لعبد الرحمن الهمذاني ثم قال «طبعت في بيروت تحت اسم كتاب الكلام» وهذه ايضاً من الروايات المستغربة فان الكتاب طبع تحت اسم «الالفاظ الكتابية» ولم يسمع اسم «كتاب الكلام» الاّ في هذا الموضع

ومنهُ ما ورد في صفحة ٤٠٤ عند ذكر كتاب مجمع البحرين حيث جعل عدد المقامات التي فيهِ ٥٩ مقامة فنقص منها واحدةً مع انهُ عدّها قبل ذلك في صفحة ٢٨٤ ستين مقامة وهو الصحيح

وجاء في صفحة ٤٠٥ ما نصهُ «ابرهيم بن ناصيف اليازجي ... لهُ مصنفات مدققة مضبوطة يُعتمَد عليها. منها (١) نفح الازهار في منتخبات الاشعار... (٢) شرح الطراز المعلم الذي لأبيهِ في البيان...» ونسبة كلّ مَن الكتابين اليهِ غير صحيحة فان نفح الازهار مما جمعهُ المرحوم شاكر البتلوني كما رواهُ بعد ذلك في صفحة ٤٧١ و ٤٨٠ ولكنهُ طُبع بتصحيح المشار اليهِ

على ما هو مذكورٌ صريحاً في عنوان الكتاب . وكذلك ما نسبهُ اليهِ من شرح الطراز المعلم فانهُ لأبيهِ لا لهُ . وبقي في هذا الموضع اشياء لا يتسع المقام لذكرها ولا هي من غرضنا في هذا الفصل فنضرب عنها صفحاً

ومثل ذلك ما رواهُ في صفحة ٤١١ حيث ذكر ترجمة المرحوم المعلم بطرس البستاني فجعل في جملة مؤلفاتهِ « تاريخ نابليون » وهو غير صحيح ايضاً وانما التاريخ لولدهِ المرحوم سليم البستاني كان ينشرهُ في مجلة الجنان تحت اسمهِ

وهناك اشياء أُخر هي دون ما ذُكر في الاهمية ولكنها غير موافقة للصحة كما جاء في صفحة ٢٨٢ و ٣٤٠ عند ذكرهِ رسائل البديع قال « طبعت في بولاق سنة ١٢٩١ وفي مصر سنة ١٣٠٤ وبهامشها في هاتين الطبعتين خزانة الادب لابن حجة الحموي » وهو عكس الواقع بل عكس المحتمل فان خزانة الادب اضخم من رسائل البديع باضعاف كثيرة والصحيح ان الرسائل هي التي طبعت بالهامش كما ذكر ذلك في صفحة ٣٤٩ و ٣٦٠ و ٣٩٣

وكما جاء في صفحة ٢٨٤ من ان المرحوم ناصيف اليازجي توفي سنة ١٨٧٠ والصواب سنة ١٨٧١ كما ذكرهُ بعد ذلك في صفحة ٤٠٣

وكتلقيبهِ ابا فِراس في صفحتي ٢٦٩ و ٢٧٠ « بالحمدوني » وصوابهُ « الحمداني »

وكقولهِ في صفحة ٣٥٧ في الكلام على مفتاح العلوم للسكاكي « وهو موسوعة في علوم اللغة والبلاغة » ولا معنى للموسوعة في هذا الموضع ولكن استعمالها من سوء التناول وذلك على حدّ ما جاء لهُ في صفحة ١٧٦ من هذا الكتاب حيث قال « ومذ اعتنى العرب بالفلسفة ساروا سير المصنفات (كذا) الحاوية الجامعة التي سماها بعض اهل عصرنا بالموسوعات » اه . ولم يسبق لأحدٍ

من اهل عصرنا ولا من غيرهم تسمية هذه المصنفات بالموسوعات ولكن هذه اللفظة اول ما ورد ذكرها في هذا العصر في مجلة الطبيب[1] ايام تسليم عهدتها الينا وقد اتفق لنا ذكر كتابٍ من هذا الجنس فسميناهُ « موسوعات العلوم » ثم ذكرنا في الهامش ما نصُّهُ « هو العنوان الذي اطلقهُ الملّا احمد بن مصطفى على هذا الجنس من التأليف في كتابهِ مفتاح السعادة ومصباح السيادة والمراد بموسوعات العلوم مشتملاتها وما وَسِع كلٌّ منها ويقال في جمعهِ كتب موسوعات العلوم » انتهى . والى ذلك الاشارة بقولهِ « سماها بعض اهل عصرنا » مما كان يجب ان يصرّح فيهِ بذكر المنقول عنهُ اذ لم يسبقنا احدٌ في هذا العصر الى ذكر هذا اللفظ . على ان هذه التسمية ليست من وضعنا كما عرفتَ وكما صرّحنا بهِ هناك ولا هي على الوجه الذي ذكرهُ ولكنهُ تصرّف في هذه اللفظة بما رايت حتى خرجت عن وضعها لفظاً ومعنى وانعكس وجه الاستعمال فيها فصارت اسماً للظرف بعد ان كانت اسماً للمظروف

بقي هنا امران لا نجد بدًّا من التنبيه عليهما احدهما تعرُّضهُ للموازنة بين كتب المصنّفين وتفضيلهُ بعضها على بعض مجازفةً وتحكماً وذلك كما فعل عند ذكرهِ الكتاب المسمى باقرب الموارد (صفحة ٣٣٠) حيث قال « وهو اصح واكمل من محيط المحيط للبستاني بل من اصح المعجمات واحسنها ترتيباً . . . » وكقولهِ عند الكلام على شعر المتنبي (صفحة ٢٦٩) « واحسن تفسير لديوانهِ هو كتاب التبيان لابي البقاء عبد الله العكبري » وانما الاول نسخةٌ عن محيط المحيط والثاني نسخةٌ عن شرح الواحديّ وفي كليهما ما يعلمهُ البصير عند مقابلة الفرعين بالاصلين مما لا تتعرض فيهِ للمزيد وليس هذا موضع الكلام عليهِ

---

١ الطبيب لسنة ١٨٨٤ — ٨٥ صفحة ٣٣٠

والامر الثاني انهُ لا يكاد يسمي واحدًا من الافرنج الوارد ذكرهم في هذا الكتاب الاّ ينعتهُ بالعلاّمة وقد يكون كتبيًّا او طبّاعًا ولا يكاد يذكر اسم عربيّ او شرقيّ الاّ مجرّدًا من النعوت ولو كان من اعظم العلماء واهل الفضل وفي ذلك ما فيهِ مما يأباهُ الادب ولا يجيزهُ الظرف بل مما يتعين على الحازم الامساك عن مثلهِ حذر ما يكون لهُ من الاثر السيئ في النفوس

ونمسك عنان القلم عند هذا القدر من النقد على هذا الكتاب ونحن نبرأ الى حضرة مؤلفهِ الفاضل من سوء القصد فيما ذكرناهُ فانّا خلا ما نتوخاهُ بذلك من الغرض العلمي لسنا ممن يرى في مجرّد الاطراء شيئًا من صادق المدح ولا من دلائل الاخلاص ما لم يكن مشفوعًا ببيان ما يقارن المحاسن من اضدادها لأن من يذكر السيئة مع الحسنة لا يكون الاّ صادقًا فضلاً عن ان ذلك لا يكون الا بعد الفحص والاستبطان بحيث تكون الشهادة عن بيّنة والاّ كان المقرّظ لا يخلو من احدى خلتين امّا المجازفة واما المداهنة ونحن لا نرضى لنا ولا لمن نقرّظهُ بشيء من الامرين

وفي هذا المقام نعترف لحضرتهِ بالفضل لما بذلهُ من العناية في جمع هذا الكتاب وتمثيلهِ ونثني عليهِ الثناء الطيّب لما توفر عليه من الاهتمام بخدمة وطننا العربيّ ولا بدع فقد تعودنا مثل ذلك من هذا البيت الكريم الذي لهُ عندنا من جميل الايادي ما لا يفنى تذكارهُ ولا تُمحى آثارهُ والله المسؤول ان يسدّدنا جميعًا الى ما بهِ منفعة الانسانية وتعزيز شأن الوطنية بتوفيقهِ تعالى وحسن الهامهِ

التمدن الحديث وتأثيرهُ في الشرق — أُهديت الينا نسخةٌ من خطابٍ بهذا العنوان لحضرة الادبية الفاضلة السيدة هنا كوراني المندوبة السورية في

مؤتمر شيكاغو العلمي لسنة ١٨٩٤ القتهُ في احد محافل بيروت بعد عودتها اليها في شهر مايو سنة ١٨٩٦ . وقد طبع هذا الكتاب حديثاً فيا يزيد على ٢٠٠ صفحة كبيرة بحثت فيها في حقيقة التمدن الحديث وتاريخهِ وما يقوم بهِ من الامور المعنوية والمقوّمات الادبية دون ما اغترّ بهِ معاشر الشرقيين من زخرفة الظواهر والاخذ بنتائج الامور قبل مقدّماتها واسبابها مما رمى آمالهم بالخيبة ومساعيهم بالاخفاق وافضى بهم الى التأخر والخراب اوردت ذلك كلهُ بعبارةٍ سهلة بسطتها بسطاً مقبولاً فاجادت وافادت ولذلك فاننا نحث جمهور المتأدبين على مطالعة هذا الخطاب ونثني على ناسجة بردهِ ثناءً جميلاً

رواية مظالم الآباء — اطرفنا حضرة الاديب المتفنن خليل افندي كامل بنسخةٍ من هذه الرواية الأنيقة وهي تمثيلية ذات خمسة فصول اجاد فيها في احكام سرد الحوادث والابداع في تصوير الوقائع بحيث حازت من اقبال الجمهور عليها ما دلّ على حسن وقعها في النفوس فنثني على مؤلفها الاديب بما هو اهلهُ ونتوقع لهُ زيادة التقدم في هذا الفن اللطيف

المعارف — ورد علينا العدد الاول من مجلة معنونة بهذا الاسم لصاحبها ومحررها الفاضل منلا عثمان افندي الموصلي وهي علمية سياسية تاريخية ادبية اخبارية . وفيما نعهد في حضرة محررها المشار اليهِ من غزارة الادب والبراعة في صناعة الانشاء ما يضمن لها التقدم بين الصحف العربية فنحث المتأدبين من ابناء هذه اللغة على الاشتراك فيها ونتمنى لها ما هي اهلٌ لهُ من الرواج والانتشار